المحاضرة رقم 1: مبادئ في علم العمران

1- أصل مصطلح العمران (urbanisme):

Urbs : كلمة لاتينية تعني - مكان تجمع السكان - ومنها جاء مصطلح urbanisme ،حيث ظهر هذا المصطلح لأول مرة في كتاب مهندس الجسور الإسباني Ildefonscerda (1815-1876) الذي جاء تحت عنوان النظرية العامة للتعمير (Teoría General de la Urbanización) سنة 1867،حيث أن المصطلح الذي ظهر في هذا الكتاب هو urbanisation أي التعمير وليس urbanisme أي العمران، هذا المصطلح الذي ظهر في اللغة الفرنسية خلال سنوات 1910، ليعبر عن مجال عمل متعدد التخصصات ظهر كرد فعل عن سلبيات الثورة الصناعية والحروب العالمية، مطورا فكرة وطريقة تفكير جديدة حول المدينة.

ويعد ابن خلدون (1332م-1406م) من أوائل العلماء الذين تناولوا مفهوم العمران فهو يرى في مقدمته التي ألفها سنة 1377 أن العمران هو" التساكن والتنازل في مكان ما، للأنس بالعشيرة واقتضاء الحاجات"، وهو بذلك يجعل العمران هو الحياة الاجتماعية للبشر في جميع ظواهرها ويربط بين العمران وأسلوب الحياة وكسب الرزق(الجمع بين البعد العمراني والاقتصادي والاجتماعي أي أن فكرته أكثر تطور من الأفكار الأوروبية).

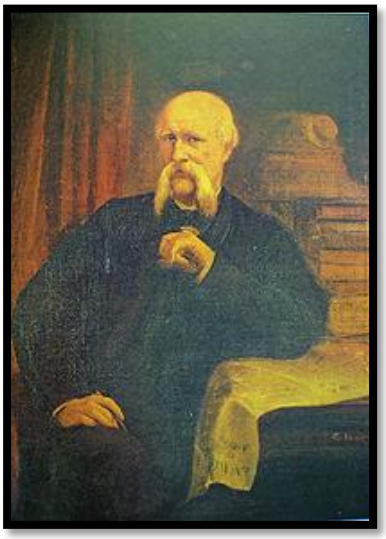

ألفونسوسيردا

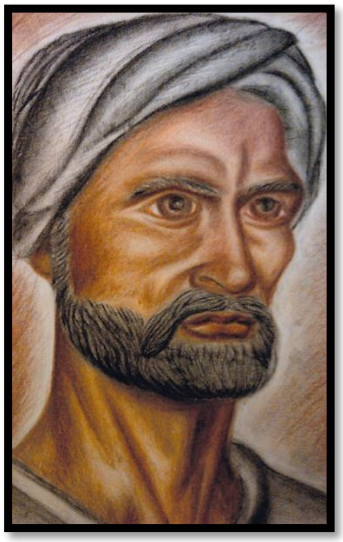

ابن خلدون

المصدر:

http://www.google.dz/imgres?imgurl=https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/thumb/5/59/PortraitIldefonsCerda.

http://www.google.dz/imgres?imgurl=https://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/c/c0/Ibn_Khaldun

2- تعريف العمران:

- **لغة:**في اللغة عمر المكان أي كان مسكوناً بالناس وعمر الدار أي بناها والعمران هو البنيان أو ما يعمر به البلد بواسطة الصناعة والتجارة والبناء.
- **اصطلاحا:** العمران هو علم، فن،وتقنية تنظيم المجال،وهو يضم جميع أنواع التدخلات المنظمة على المجال المبني والقابل للبناء.

أما Alberto zucchelli فهو يرى في كتابه مدخل إلى العمران العملي والى التركيبة العمرانية (introduction à l'urbanisme operationnel et à la composition urbaine 1983) بأن العمران هو " مجموعة المعارف التاريخية و الثقافية ، و مجموعة المذاهب والتقنيات التي تعالج إشكالية تنظيم وتحويل النظام الحضري ، كما انه مجموعة مبادئ ،هياكل ، وسائل ومحتويات السياسات الحضرية المطبقة أو المقترحة خلال مختلف المراحل التاريخية، السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، أما مجال تطبيقه المبدئي هو المدينة، ثم يتوسع ليشمل كل الإقليم، أين يتم دراسة العلاقات الريفية الحضرية ضمن مفهوم أوسع يتمثل في التهيئة الإقليمية" .

حيث يمكن تناول مفهوم العمران من منظورين أحدهما يرى العمران " نتيجة " والآخر يراه" وسيلة "،فالاتجاه الأول يجعل من العمران نتيجة تفاعل ذكاء الإنسان مع البيئة الطبيعية بهدف توفير حاجاته المادية والروحية، وبذلك نرى أن طرفي التفاعل هما الإنسان والبيئة، ومحددات هذا التفاعل هي محددات تلك البيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية وغيرها،أما ناتج التفاعل فهو العمران الذي يأتي موفي ألحاجات الإنسان.

أما الاتجاه الثاني في تناول العمران باعتباره أداة المجتمع ووسيلة لصياغة وتجديد معارفه ومفاهيمه الأساسية وشحذ طاقات أفراده الإبداعية، وهذا المفهوم يعترف بالقوة الكامنة في العمران وقدراتها في التأثير على المجتمع وتنميته والتعبير عن هويته.

والاتجاهين السابقين في تناول العمران يعبران عن العلاقة التبادلية بين الإنسان والعمران، فالاتجاه الأول يعتبر الإنسان هو الذي يصنع العمران ليحقق احتياجاته، والاتجاه الثاني يوضح قدرة وسلطة العمران في التأثير على المجتمع.

3- لمحة تاريخية عن العمران:

3-1 مرحلة ما قبل العمران (منذ ظهور الإنسان على سطح الأرض إلى غاية 5000 قبل الميلاد):

يؤكد التاريخ البشري أن الإنسان الأول قد بحث عن مأوى في الطبيعة ليحميه من الظروف الطبيعية والأخطار المحيطة به، هذا المأوى الذي كان أحد عناصر الطبيعة الموجودة أصلاً والتي ليس للإنسان أي فضل فيها مثل الكهوف، ثم بدأ الإنسان يتطور ويصنع هذا المأوى من الصخور وجذوع الأشجار والجلود

وغيرها من المواد المتاحة، وبفعل ما إستجد من حياة الإنسان من تطور روحي ومادي ،تزايدت احتياجات الإنسان عن مجرد الإيواء، فبدأ يبحث لهذه الاحتياجات عن حيز فراغي منظم يحتويها، وكان ذل كبداية تبلور فكرة العمران.

3-2 العمران في العصور القديمة:(من 5000 قبل الميلاد إلى سنة 476 م)

إن تاريخ العمران مرتبط بتاريخ المدن، فالمدن الأولى ظهرت في مواطن الحضارات النهرية القديمة (مصر، العراق، الهند، الصين...) حيث أكدت الآثار على وجود علامات العمران العفوي في هذه المدن.

ثم تزايدت أهمية التخطيط خلال العهد اليوناني والروماني من خلال ظهور بدايات التخطيط المتمثلة في المخططات الشطرنجية على يد الفيلسوفHippodamos.

3-3 العمران في العصور الوسطى (من القرن 5 م الى القرن 15 م):

كانت أوروبا تمر بعصر مظلم، حيث خربت فيها الكثير من المدن، وانعكس ذلك على العمران فاختفت الأشكال البسيطة والأنيقة للمنازل وأصبحت متصلة بصورة فوضوية، وبالمقابل ازدهرت حياة المدن في بلاد المسلمين بفضل ما جددوه وأحيوه من مدن الرومان واليونان السابقة.

3-4 العمران خلال النهضة الأوروبية من القرن 16 إلى القرن 18 م:

بالنسبة للمدن العربية الإسلامية استمرت في التقدم والازدهار إلى غاية سقوط الدولة العثمانية سنة 1922م، أما بالنسبة للمدينة الأوروبية الإقطاعية فقد تمت العودة إلى الكلاسيكية اليونانية والرومانية ما أعطى بعثا جديدا للعمران على النموذج الكلاسيكي، دون تحطيم الهيكل العمراني للعصر الوسيط، حيث طبق على الفضاء قواعد متفق عليها (مثل التناظر) جعلت من المدينة شيء فني.

3-5 عمران الثورة الصناعية وما بعد الثورة الصناعية (نهاية القرن 18 والقرن 19 م):

عرف العمران دفعا قويا وفجائيا بسبب التحولات التي أحدثتها الثورة الصناعية، وبالتالي عرفت المدينة انفجارا عمرانيا واختلالا بيئيا واجتماعيا في أوروبا ثم في خارجها، حيث أصبحت المدن تعاني من عدة مشاكل كالتلوث ومشكل المرور وانعدام المساحات الخضراء ضعف الروابط الاجتماعية بين السكان.

ما أدى إلى ظهور جذور النظريات الحديثة في التخطيط العمراني، حيث بدأ المهندسون (سيطر المهندس على إنتاج المجال العمراني) بالبحث عن الوسائل التي تساعد المدن على حل مشاكلها العمرانية التي نتجت عن الثورة الصناعية، وعندما لم تستطع هذه النظريات أن تحل مشاكل المدن القائمة، سعى أصحابها إلى تطبيقها على مواقع جديدة لبناء مدن جديدة مثل المدن الخطية والمدن الحدائقية.

و تعتبر الإنجازات التي قام بها الفرنسيون من أهم الإنجازات العمرانية التي عرفتها هذه الفترة، حيث أرادوا التعامل مع متطلبات عصر الصناعة كواقع فجاءGeorge Haussmannليحقق رغبات نابليونIII

لتطوير باريس (1853-1869)فأدخل تغييرات جذرية عل مدينة باريس تهدف إلى تحقيق النظافة، الأمن، الإضاءة، حركة المرور وظهرت باريس كعمل معماري كبير تحددت فيه الشوارع الكبيرة بالأشجار وأنشئت المرافق العامة، حيث قام بشق طرق رئيسية انطلاقا من نقطة مركزية تتمثل في قوس النصر (l'arc de triomphe) معتمدا في ذلك على خطة الانطلاق من الصفر (la table rase) ولذلك تعتبر أعمال George Haussmann تدشينا للعمران الحديث.

قوس النصر في مدينة باريس

هذا بالنسبة إلى المدينة الأوروبية، أما المدينة العربية الإسلامية فقد انتقل إليها النموذج الأوروبي للتعمير عنوة، نتيجة الحركات الاستعمارية التي كانت الثورة الصناعية السبب الرئيسي فيها.

3-6 فترة ظهور العمران الحديث(بدايات القرن العشرين من 1900 إلى 1960):

بحلول القرن العشرين انفصل علم العمران عن الهندسة المعمارية وظهرت إيديولوجيتان: الأولى تحاول معالجة سلبيات الثورة الصناعية تتمثل في التيار الإنساني أو الثقافي (le courant humaniste ou culturaliste)، ويتزعمه كل من «ستوبن Stubben» من ألمانيا، «سيت camilo site » من النمسا، و«ابنزير هاورد Ebenezer Howard» من بريطانيا صاحب فكرة المدن الحدائقية (la cité jardin) .

لكن هذه الإيديولوجية لم تدم طويلا واستبدلت بإيديولوجية ثانية تمثلت في الحركة التقدمية(le courant progressiste)،التي ركزت على إعادة تعمير المدن المهدمة من الحروب العالمية الأولى والثانية، بزعامة Le Corbusier الذي اعدميثاق أثينا سنة 1933 (la charte d’Athènes)، هذا الميثاق الذي عرف بعد الحرب العالمية الثانية(1939-1945) تطبيقا مكثفا لمبادئه معلنا بذلك بداية مرحلة جديدة هي مرحلة العمران الوظيفي (الحديث).

هذا التيار العمراني الذي يرتكز على الكمية على حساب النوعية، معتمدا في ذلك على التقنيات الصناعية الجديدة في إنشاء وإنتاج المدينة، وهذا ما أدى إلى بناء منازل مثلما تنتج السيارات في المصانع.

انطلاقا من هذه السلبيات أصبح هناك وعي بأن في المدن الجديدة لابد أن يتجاوز التعمير البعد المادي المحض ليشمل اهتمامات اجتماعية، اقتصادية وسياسية لا يمكن تركها لإرادة المعماري أو المهندس المدني.
بالإضافة الى أن السبب الرئيسي الكامن وراء ضرورة تغيير نظم التخطيط الحضري التقليدية (العمران الوظيفي) هو ظهورها في ظروف استثنائية غير عادية، وبالتالي أصبحت غير عملية بمجرد انتهاء هذه الظروف، فلقد نشأت نظم التخطيط الحضري الحديثة (التخطيط المركزي أو الخطي) في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وذلك في إطار الاستجابة للمدن التي تشهد وتيرة متسارعة من النمو والتلوث في أوروبا الغربية نتيجة للثورة الصناعية، وفي إطار إعادة إعمار المدن المهدمة من الحروب العالمية.
وبالرغم من تأثرها الشديد بالقيم السائدة في المدن الأوروبية التي ظهرت فيها، إلا أن مبادئ العمران الوظيفي انتشرت في معظم أنحاء العالم خلال القرن العشرين،ولا تزال تشكل النمط السائد والأكثر شيوعا في المجال العمراني خاصة في البلدان النامية.

حيث تتسم المناطق الحضرية حاليا بالتعقيد وسرعة التغير، وهي تتشكل من خلال مجموعة من القوى المحلية والعالمية التي عادة ما تتجاوز نطاق سيطرة الخطط والمخططين المحليين، ما يخلق فجوة عميقة بين الواقع الحضري وأساليب التخطيط القديمة التي أخفقت إخفاقا تاما في استيعاب أسلوب الحياة العصرية.

3-7 العمران المعاصر (من 1960 إلى اليوم):

هكذا ظهرت تيارات جديدة مضادة تتميز بعدوانيتها للعمران الوظيفي القطاعي ،وتتميز بالبساطة والعقلانية في المجال العمراني وتدعوا إلى العودة إلى التركيب العمراني التقليدي مع إدماج مكتسبات التيار الحديث (الأصالة والمعاصرة)، وقد أسهم الباحثون الأوربيون والأمريكيون مساهمة متميزة في هذه الفترة، وانقسموا في توجهاتهم إلى قسمين التيار الطبيعي (le courant naturaliste) بزعامة مدرسة شيكاغو الأمريكية ، والذي هدف إلى الجمع بين المدينة والطبيعة وتطور إلى العمران المستدام ،وعمران المشاريع (l’urbanisme de projet) هذا التيار الذي يعتبر آخر ما توصل إليه الباحثون في مجال العمران .

4- أنواع العمران:لعلم العمران نوعان أو جانبان:

4-1 جانب نظري أو قانوني (l’urbanisme réglementaire):

المتمثل في القوانين والتشريعات المنظمة للمجال الحضري والريفي مثل قانون التهيئة والتعمير في الجزائر وقانون التضامن والتجديد الحضري في فرنسا، هذه القوانين تتضمن عموما أدوات التعمير المتمثلة في المخططات المجالية (حالة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير في الجزائر)،ومن جملة من القواعد العامة مثل القواعد العامة للتهيئة والتعمير التي تستعمل في حالة غياب المخططات، بالإضافة إلى الأدوات التي تستخدمها الدولة في مراقبة النشاط الحضري (عقود التعمير في حالة الجزائر).

4-2 جانب تطبيقي أو عملي (l'urbanisme opérationnel):

أما العمران العملي فهو التجسيد الفعلي لهذه القوانين على ارض الواقع، من خلال برامج ومشاريع تجسد على أراضي فارغة أو معمرة مسبقا، حيث توجد عدة أنواع من عمليات التدخل على النسيج الحضري أهمها: التجديد الحضري، إعادة التهيئة الحضرية، عمليات الترميم، عمليات إعادة الهيكلة، عمليات إعادة التأهيل، عمليات إعادة التنظيم وعمليات التكثيف.